ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

دور البابوية والهيئات الدينية في إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية

أحمد جميات

أستاذ مشارك– قسم التاريخ
جامعة محمد بوضياف
المسيلة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

يتناول المقال البابوية ودورها في التحريض على إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، خاصةً بعدما أدرك الحكام المسيحيون أهمية العامل الديني في تماسك الجبهة الإسلامية، وأصبحت الممالك المسيحية في حاجة إليها لتدعمها في حربها ضد المسلمين، وكان في مقدمة الساعين لترسيخ هذا العامل في الصراع العسكري بين المسلمين والمسيحيين المنظمات الديرية؛ وعلى رأسها دير كلوني، حيث شجعت على إنشاء هيئات دينية تستلهم عزيمتها من سلوك الرهبان والقساوسة، وتكون بمعزل عن تقلبات السياسة، وتبقى دومًا في المركز المتقدم لمواجهة المسلمين، بحماية الثغور والجوسسة، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت العديد من الجماعات والهيئات الدينية، ومن أهمها: فرسان الداوية، وقلعة رباح، وشانت ياقب، والقنطرة.

بيانات المقال:

تاريخ استلام البحث: ١٢ يناير ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٤ مارس ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

دير كلوني، العامل الديني، قلعة رباح، شانت ياقب، القساوسة الكاثوليك

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

أحمد جميات. "دور البابوية والهيئات الدينية في إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية".- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع والعشرون؛ سبتمبر ٢٠١٥. ص ٧٨ – ٨٤.

مُقَدِّمَةْ

ارتبطت منطقة شبه الجزيرة الإيبيرية منذ القدم بشمال إفريقيا بحكم الموقع الجغرافي والغزوات البربرية، حتى أنه يُعتقد أن أصل القبائل الإيبيرية من شمال إفريقيا، وأن سكان "الباسك" إحدى هذه القبائل. وزاد الارتباط بعد سنة (٩٢هـ/٧١١م) بعدها أصبحت تحت حكم المسلمين، إلا أن هذا الارتباط الأخير لم يدم طويلاً، نظرًا لتباعد وجهة نظرة العقيدتين في سيدنا عيسى "عليه السلام". فبدأت فكرة حروب الاسترداد تتجلى في مقاومة اشتوريس على يد رجل يدعى بلايو منذ البدايات الأولى لتواجد المسلمين، وزاد هذه المقاومة قوة، انهزام المسلمين في معركة بلاط الشهداء سنة (١٤٢هـ/٧٣٣م) على يد كارل مرتل[١]، بوضعه حدًا لفتوح المسلمين في غرب أوربا، وبهذا نمت المملكة المسيحية واتسعت حدودها، إلى أن أصبحت بعد معركة العقاب ثلاث ممالك مسيحية هي: (قشتالة، واراغون والبرتغال). بينما اتجهت البرتغال جهة الغرب، عملت اراغون وقشتالة على تحقيق الغاية القومية الدينية الكبرى، وهي إسبانيا المسيحية. وعليه نتساءل ما هي العوامل التي ساعدتها على تحقيق هذه الغاية، وهل للبابوية والكنسية دور في تحقيق أمنية تشكيل إسبانيا الكاثوليكية؟

أولاً: دور البابوية ورجال الدين

يعود اهتمام القساوسة الكاثوليك بشبه الجزيرة الأيبيرية، منذ أن كان القوط الغربيون[٢] على المذهب الأريوسي[٣]، فمد كلوفيس ملك الفرنجة يده نحو الجنوب لإزاحتهم ونظروا إليهم كهرطقيين[٤]، وفي يوم الأحد١٣ أفريل٥٨٧م أعلن الملك فلافيوس ريكاردو تحوله إلى المذهب الكاثوليكي[٥]، حيث أعتنق الكثير من الأساقفة الكاثوليكية[٦]، مما جعل البابا غريغوري الأول يهنئه -حسب رأيه- بالرجوع إلى العقيدة السليمة، ويرسل له بهدية هي قطعة من خشب الصليب ومفتاح كنيسة القديس بطرس.[٧] وبعد الفتح الإسلامي بدأت الروح الصليبية تتجلى في مقاومة أشتوريس،

وخاصةً حين ساد الاعتقاد باكتشاف جثمان القديس يعقوب[٨]، فأصبح مع الزمن محجا لمسيحي شبه الجزيرة الأيبيرية وأوربا[٩]. وهنا يقول أمريكو كاسترو "وبذلك أسهموا في الإبقاء على إسبانيا المسيحية مرتبطة بباقي أوربا".[١٠]

كما ارتبط اسم جثمان القديس يعقوب بالحروب مع المسلمين من خلال إذكاء الحماسة الدينية، حتى أنهم أصبحوا يدعون لرعاياهم بأن القديس يعقوب يبشرهم بالنصر ويحارب معهم، حتى صار في نظرهم حامي إسبانيا،[١١] وأصبحت صيحة الحرب بين القوات الإسبانية عبارة "Saintiago y Cirre Espana"[١٢]. كما أظهروا بعض المعجزات، ومنها: ظهور القديس يعقوب، للملك رامبرو الأول وقال له :" قام يسوع بإرسال باقي الرسوليين من إخوتي وأنا معهم إلى كافة أقاليم الأرض، وأعطاني أنا وحدي إسبانيا وطلب مني المحافظة عليها وحمايتها من أيدي أعداء الدين... وحتى لا تَشُك في شيء مما أقول لك حاول أن تراني وأنا أمتطي صهوة جواد أبيض وأضع خوذة بيضاء وأحمل سيفًا يتلألأ في يدي."[١٣]

ويضيف أمريكو كاسترو: لقد كان لتعاليم الكنيسة الفضل في تحويل نسبة كبيرة من حروب الحدود إلى حروب صليبية لنشر المسيحية، أو القضاء على غير المسيحيين[١٤]، وكثيرًا ما كان ينتحل الباعث الديني بقصد إلقاء قناع خفيف من الاحترام على العمليات الحربية [١٥]، ولولا هذا القناع لكان من العسير تبرير الحرب [١٦]، لأنهم كانوا يرون في المسلمين مجرد هراطقة[١٧]جامحين وأعداء ضاريين، حسب رأي نورمان كانتور[١٨]، وأغمضوا عيونهم عن المكاسب التي كانوا من الممكن أن يتحصلوا عليها من خلال الاتصال بالأمة الإسلامية[١٩].

وفتنة المستعربين[٢٠]سنة(٢٣٥هـ /٨٥٠م)، خير دليل على ذلك، حيث بانت نوايا البابوية ورجال الدين، وهذا بتحريض الشباب المسيحي على سب قيم الإسلام علنا، مما زاد في الفتن الداخلية.[٢١] ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري تغير مفهوم الحرب الصليبية بدخول الأديرة وعلى رأسها دير كلوني[٢٢]، وذلك لتشجيع نظامهم، وطقوسهم[٢٣] الرومانية[٢٤] مستغلين وجودهم لدعم الحرب الصليبية ضد المسلمين.[٢٥]

كما منح البابا الإسكندر الثاني(Alexande II)(١١٥٩-١١٨١م) في سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٣م)، غفرانًا، للفرسان الفرنسيين الذين ذهبوا لقتال المسلمين في إسبانيا- أو ما تسمى بالحرب العادلة-[٢٦]، واستغل البابا غريغوري السابع (Gregory VII) (٤٦٥-٤٧٧هـ/١٠٧٣-١٠٨٥م)، عون ودعم الممالك المسيحية، ليعرض على المتطوعين ممثلون بابويون، مع تبعية الأرض التي يخضعونها للبابوية[٢٧]، لاستخلاصها من أيدي الوثنيين حسب زعمه- أي المسلمين-[٢٨]، وحسب ديفز: فإنه كان يُعد مشروع جديد ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية خدمة للكنيسة الكاثوليكية [٢٩]، وهو أول مَنْ استخدم عبارة جيش المسيح- أي غريغوري السابع-[٣٠]، وبذلك صاغ فكرة الحرب المقدسة[٣١].

ومن ذلك الحين أصبحت الحرب ضد الإسلام، تنحي منحى صليبيًا، مما جعل غريغوري السابع، يقترح شن حملة ضد الشرق تقودها البابوية[٣٢]، وهذا ما زاد في تقرب البابوية بالممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية[٣٣]. في حين كان يتأهب جموع الغرب للسير إلى الشرق، أصدر البابا إيربان الثاني (Urban II) مرسومًا، يحرم على الإسبان الاشتراك في الحرب الصليبية[٣٤]، لأن حسب رأيه أعداء المسيحية يهددونهم[٣٥]، هذا ما شجع رجال الدين، أن يتقدموا إلى ميدان المعارك، بل ويقودون الحملات أحيانًا مع الدوقات، والأشراف، والملك[٣٦]، واجتمعوا في جهة واحدة لقتال المسلمين[٣٧]، وهنا يقول يوسف أشباخ: "وقد كان لرجال الدين الإسبان الفضل في وحدة اللغة والدين، والأخوة التي بفضلها عاد السلام بعد الخصام بين الأمراء المسيحيين"[٣٨].

كما شجعت البابوية في عهد البابا أونست الثالث (Innocent III)، على إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس،حيث اصدر أمره إلى رئيس أساقفة طليطلة لصرف الأموال ، لقتال جيش الموحدين[٣٩]. مما جعل الخليفة الناصر يعتذر عن هزيمة العقاب على لسان الشيخ ابن عياش: "فبث القسيسين والرهبان من برتقال إلى القسطنطينية العظمى، ينادون في البلاد من البحر الرومي إلى البحر الأخضر غوثًا غوثًا ورحمى رحمى، فجاءه عباد الصليب من كل فج عميق... وكان أولهم سبقًا الإفرنج في الشرق والشمال، ثم تبعهم البرجلوني بما عنده من العدة والرجال. وكان صاحب نبرة متعلقًا من الموحدين بذمام، ومنقادا إليهم أبدًا في أسمح زمام، فسخط عليه صاحب رومه إن لم يكن لقومه معسكرًا ولسواد أهل ملته مكثرًا، فلحق بتلك الجموع مرهجًا[٤٠]، وتوسط بحرهم المزيد ملججًا، كل ينادي الصليب، ونحن ننادي بالسميع المجيب".[٤١]

ولما أراد خايمي الأول ملك أراغون (Jaime I)(٦١٠-٦٧٥هـ/١٢٣١-١٢٧٦م)، أن يستولي على القواعد الأمامية لإقليم بلنسية، طلب من البابا غريغوري التاسع (Gregory IX)، أن يدعمه، فأصدر مرسومه بإسباغ الصفة الصليبية على حروبه[٤٢]، فهرع إليه الفرسان والسادة، مع سن ضريبة الماشية العينية، مساهمة في نفقات الحرب[٤٣]. كما تحمس البابا سيكستوس الرابع، لإنهاء مملكة بني الأحمر، فسمح لإزابيلا (Isabella) وزوجها فرناندو الخامس(Fernando V) ملك قشتالة وأراغون، بتحصيل ضريبة الحرب ضد المسلمين[٤٤].

أما خلفه أنوست الثامن، فقد تلقى الخبر بإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية من طرف الملك فرناندو الخامس، قائلاً ومبشرًا: "ولدك المطيع المخلص ملك قشتالة وليون وأراغون وصقلية وغرناطة، يقبل قدميك ويديك الطاهرتين خالصتي الطهارة... يبشرك بأن ربنا انعم علينا بنصر مبين على أندلسي غرناطة أعداء ديننا الكاثوليكي الطاهر[٤٥]، وتم في هذا اليوم الثاني جانفي (١٤٩٢م / ١ ربيع الاول٨٩٧هـ)"[٤٦]. وبعد نجاح الكنيسة ورجال الدين في تأجيج روح الحماس الديني، وتقوية الروح

الصليبية دفع بملوك الممالك المسيحية، إلى إنشاء جماعات دينية محاربة، تسلتهم عزيمتها من سلوك الرهبان والقساوسة.

ثانيًا: جماعة الفرسان الدينية

تعود فكرة إنشاء الجماعات الدينية، إلى النجاح الذي حققه الرهبان والقساوسة، بعد مشاركتهم في الحروب، مما جعل الملك الأراغوني الفونسو الأول الملقب بالمحارب، ينشىء أول جماعة دينية محاربة.[٤٧] في حين لم تكن قد قامت في المشرق الإسلامي أية جماعة من هذه الجماعات، حسب رأي يوسف اشباخ[٤٨] ويرى الكتاب المستشرقون بأن المسلمين أنشأوا قبل ذلك نوعًا من الفرسان لحماية الحدود يسمون بالمرابطة[٤٩]، بينما يخطئون - حسب ما يظهر- حين يقولون بأن كلمة الرباط هي في الأصل لكلمات إسبانية مثل (Arrebatar، Rabato)[٥٠]. وكان الباعث الديني والروحي هو الأساس في ميلاد هذه الجماعات، ما جعلها تتأثر بأقوال الكنيسة، ومنها: "سوف تُقتلون وأنتم تحاربون في سبيل الرّب لكنكم سوف تتلقّون التاج الأعظم"[٥١].

ولما توفي الفونسو المحارب، خص في وصيته بنصيب من مملكته، إلى كل من الإستبارية (Hospital)[٥٢] ، والمعبد(Temple)[٥٣]، باعتبارهم حماة المسيحية في بيت المقدس[٥٤]. مما جعل جماعة الفرسان تفكر في إنشاء هيئات دينية، في شبه الجزيرة الأيبيرية، فهيأ لهم رامون الثالث . حاكم أراغون . الفرصة بعد أن اعتنق مبادئ المعبد (الداوية)[٥٥]، ولما خلفه ابنه رامون الرابع (Ramon Berenguer)، سار في نفس الطريق الذي رسمه أبوه[٥٦]، فعمل على توطيد أعداد كبيرة منهم، حيث تقرر بصفة رسمية في مجلس ديني، منح الفرسان بعض الحصون المطلة على لاردة (Lérida)[٥٧] سنة (٥٢٧هـ /١١٣٣م)[٥٨]، وسرعان ما ظهرت أهمية العون الذي يقدمه فرسان الداوية في كل حرب، تنشب بين المسلمين، فعهد إليهم بحراسة معظم الحصون التي فُتحت[٥٩]، وعندما قام ألفونسو السادس (Alfonso VI)(٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) بالاستيلاء على قلعة رباحِ (Calatrava La Vieja)[٦٠] سنة (١١٣٤م/ ٥٢٨هـ) كلف جماعة الداوية بمهمة الدفاع عنها[٦١].

وهذا دليل آخر على أنه لم يكن في قشتالة أي نوع من المليشيات المنظمة على شاكلة الجماعات الحربية، حسب رأي أمريكو كاسترو[٦٢]، بينما حسب رأي يوسف أشباخ، لابد من قيام جماعة مستقلة من الفرسان لتذود عن الدين المسيحي، تكون بمعزل عن تقلبات السياسة في الممالك المسيحية [٦٣]، وقد ساعدهم على ذلك رجال الدين، لأنهم كانوا يعيشون من أجل الحرب، والدعوة إلى الصليب [٦٤]. ولما عجز فرسان الداوية عن الدفاع عن قلعة رباح، أمام زحف الموحدين سلموها إلى ملك قشتالة سانشو الثالث (Sancho III)[٦٥]، مما جعل الراهب رامون(Ramon)يستغل الفرصة، وينشئ جماعة دينية[٦٦]، وبعدما أيده مطران طليطلة، بدأ في إلقاء الخطب والعظات حيث وعدهم بالغفران على كل من يدافع عن قلعة رباح، فاستجاب له الآلاف من المتطوعين كما قُدم له الخيل والسلاح[٦٧].

وهكذا قامت جماعة" فرسان قلعة رباح" سنة (٥٥٥هـ/١١٦١م)، وانتخب الراهب رامون أول رئيس لها، وصادق البابا إسكندر الثالث على قيامها[٦٨]، وطبقت عليها النظم الحربية لطائفة السسترسيان[٦٩].[٧٠]، وحسب رأي أمريكوا كاسترو، أن المادة الإسلامية المسيحية يتم الآن وضعها من جديد في قوالب فرنسية[٧١]. ولما رأت الممالك المسيحية أهمية الدور الذي تضطلع به هذه الجماعات، من خدمات للدين المسيحي، وصد هجمات المسلمين، وتقديم الدعم والمساندة، وبخاصةً في حماية الثغور والجوسسة، شجعت على إنشائها، ففي سنة (٥٥٢هـ/١١٥٨م) أنشأ الفونسو أنريكيث (Alfonso Enriquez)(٥٣٣-٥٨١هـ/١١٣٩-١١٨٥م) ملك البرتغال، جماعة دينية محاربة جديدة سميت بـ (Nova Milirja) وشعارها القتال من أجل الدين المسيحي.[٧٢]

أما في سنة (٦٥٨هـ/١٢٦١م) قامت جمعية محاربة جديدة هي جمعية القديس ياقب (Santiago)[٧٣] في جليفية، وينسب تأسيس هذه الجماعة إلى عدة فرسان من قطاع الطرق[٧٤] لكنهم تابوا بعد وعظهم من طرف رجال الدين، وفق منهج القديس أوغسطين [٧٥].[٧٦]. ومنذ القرن الثالث عشر الذي يوافق ظهور مملكة بني الأحمر، تفردت شبه الجزيرة الإيبيرية بظهور ثلاث جماعات هي: (جماعة قلعة رباح، وجماعة شانت ياقب، وجماعة القنطرة)، بصفتها قوة سياسية وعسكرية[٧٧]. حيث شاركت هذه الجماعات في الحملات العسكرية التي استهدفت الاستيلاء على مدن الأندلسية، وكان لفرسان قلعة رباح دور في سقوط مدينة بلنسية، تحت راية ملك أراغون خايمي الأول (Jaime I)(٦١٠-٦٧٥هـ/١٢١٣-١٢٧٦م)[٧٨]، ولما دخل ملك قشتالة فرناندو الثالث(Fernando III)(٦١٤-٦٥٠هـ/١٢١٧-١٢٥٢م) مدينة جيان، ابتهج رجال الدين بالنصر، وكلف الفرسان بحراسة المدينة ومعظمهم جماعة فرسان شانت ياقب، وقلعة رباح[٧٩].

وفي سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، قدّم فرسان شنت ياقب، وقلعة رباح، لملك قشتالة الدعم في غزو إشبيلية، حيث كلفهم بتخريب القرى، ولما احتلوها قاموا رفقة رجال الدين بتحويل المساجد إلى كنائس،[٨٠] وعبر يوسف أشباخ عن هذا الموقف بقوله "وشهد المسلمون بأفئدة حزينة، كيف أزيلت قبور آبائهم وأجدادهم خلال هذا التغيير"[٨١].

هذا وقد تجرأ، دون مارتن قائد جماعة فرسان القنطرة سنة٧٩٧هـ/١٣٩٤م، على أن يدعوا سلطان غرناطة، محمد السادس (٧٩٥-٨١٠هـ/١٣٩٣-١٤٠٨م) إلى الدخول في المسيحية، وإذا لم يستجب فليستعد للحرب[٨٢]، وفي ٢٦ أبريل (١٣٩٤م/ ٢٤ جمادى الثانية ٧٩٦هـ) سار إليه بجيش تعداده خمسة آلاف مقاتل، أسفرت هذه المعركة عن مقتل أعداد كبيرة من المسيحيين وعلى رأسهم قائد جماعة القنطرة[٨٣].

ومنذ انحصار مملكة بني الأحمر في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية كانت البابوية ورجال الدين والفرسان، دعمًا لملوك الممالك المسيحية، وقد تغنى رجل الدين "أنطونيو آغابيد" بالفرسان قائلاً: "إنه كان مشهدًا رائعًا للقضاء على هؤلاء الكفرة... من طرف فرسان البلاد ورعًا وتصميمًا وإباءً، وهؤلاء الفرسان يبدون من بعيد كأنهم يسبحون على بحر من أعلام الصليب باتجاه الهلال.. يهدف إلى انتزاع بذرة الشر المحمدي... لكي تعم سيطرة الكنيسة..."[٨٤]. وهنا يرى هُلستر، أن الحروب الطويلة ضد المسلمين ساعدت على إلهاب حماس القديسين والجنود على فتح المكسيك[٨٥]، لأن المسيحيين كانوا يعتبرون الإسلام دينًا منشقًا عن المسيحية[٨٦]، مما جعلهم يدونون على قبورهم عبارات الكراهية ضد الإسلام ومنها: "هنا يرقد في هذا الضريح فرناندو الأراغوني، وإيزابيلا القشتالية، زوج وزوجة عاشا متحدين ولُقبا بالكاثولكيين، وقد أطاحا بالطائفة المحمدية، ودحرا عناد البدعة"[٨٧].

وبالتالي نستنتج؛ أن رجال الدين وجماعة الفرسان كان لهما دور فعال في الحرب الصليبية، التي شنتها الممالك المسيحية ضد المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية، بل أكثر من ذلك لم توف البابوية بعهودها التي قطعتها على نفسها في معاهدة تسليم غرناطة، ولم تمض إلا أعوام قليلة حتى بدت نية الكنيسة في تنصير المسلمين.

خاتمة:

ومما سبق يتضح؛ أن اسبانيا الكاثوليكية خرجت إلى حيز الوجود نتيجة لتمسكها بالدين المسيحي، فبعدما كانت تجد في تقديس "شانت ياقب" المصدر الذي يحرك حماستها ويشد أزرها، وجدت في البابوية دعمًا لها في تقوية الروح الأخوية بين المسيحيين من خلال المعاهدات والمصاهرات التي تسببت في اندماج الممالك المسيحية ببعضها البعض، ويعتبر زواج الملكة القشتالية ايزابيلا بفرناندو الوارث الشرعي لعرش اراغون إحداها ، لان هذه المرأة كانت تطمح أن يقترن اسمها بإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولهذا تدخلت لدى البابا لتقديم الدعم والمساندة، وحمل الكنيسة على أن تتنازل عن ثلث حصتها من العشر لخزينة الحرب، ولهذا سُميت بالكاثوليكية.

بل أكثر من ذلك تعاونت مع البابوية في إنشاء محاكم التفتيش لتنصير المسلمين، ولم تف بعهودها التي قطعتها على نفسها في معاهدة تسليم غرناطة، وهي: "أن لا يرغم أي مسلم أو مسلمة على اعتناق المسيحية". ولم تمض إلا أعوام قليلة حتى بدت اسبانيا مسيحية كاثوليكية بدون مسلمين، لأن المسحيين كان ولاؤهم للوطن أكثر من غيرهم، بينما المسلمين كان ولاؤهم للقبيلة والعشيرة أكثر وأعمق من الوطن، وقد نبه إلى هذا عدد من المؤرخين الذين عاصروا تلك الأحداث ومن بينهم؛ لسان الدين بن الخطيب صاحب كتاب "الإحاطة في إخبار غرناطة"، وابن عاصم الغرناطي مؤلف كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى".

الهَوامِش:

(١) وهنا يقول المؤرخ الانجليزي جوزيف ماك كيب: "لو أن عرب اسبانيا فتحوا أوربا وبقوا فيها قرنين من الزمن، وأقاموا فيها مدنيتهم، كما فعلوا في اسبانيا لكنا متقدمين ستة قرون أكثر مما نحن عليه اليوم". انظر: **مدنية المسلمين في إسبانيا**، ترجمة، محمد تقي الدين الهلالي،ط٢، مكتبة المعارف، الرباط،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ص٣١.

(٢) **القوط الغربيون**: دخل القوط الغربيون شبه الجزيرة الأيبيرية سنة٤١٤م، بعد هجرة الوندال إلى إفريقية، وكان القوط مثل غالبية القبائل ذات الأصل الجرماني، يؤمنون بالمسيحية تبعًا للعقيدة الآريوسية، أي أنهم لا يعتقدون بإلوهية المسيح. انظر: سهيل زكار: **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**.المغرب والأندلس والبحر المتوسط . دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٠م،ج٢، ص٢٣ فما بعدها؛ محمود شيت خطاب: **قادة فتح الإسلامي**، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٥ فما بعدها.

(٣) **الأريوسي**: نسبة إلى أريوس، ومبدأ، الأريوسية: عنده، أن الله غير مخلوق، وغير مولود، لا بداية له، حيث أنكر أريوس إلوهية المسيح. وهذا ما يؤكده القس المسلم أنسلم تورميدا بقوله: "وهذا في غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من جملة البشر ورسول من جملة الرسل (صلى الله عليهم أجمعين). لمزيد من المعلومات، قارن: عبد الله علي بن علي الميورقي المعروف باسم عبد الله الترجمان: **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، تقديم، محمود علي حماية، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٧٧؛ ج . ويلتر: **البرطقة في المسيحية . تاريخ البدع الدينية المسيحية** . تعريب، جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،٢٠٠٧م، ص٧٦.٨٠؛ نعيم فرح: **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، ط٣، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٦٢.

(٤) إبراهيم علي طرخان: **دراسات في تاريخ أوربا العصور الوسطى** . دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٥١ فما بعدها.

(٥) **المذهب الكاثوليكي**: أصل كلمة كاثوليكي: هي اللفظة اليونانية (Katholikos)، كاثوليكوس، وتعني العالمي، وقد استخدمت هذه الكلمة لأول مرة من قبل القديس، أغناطيوس الأنطاكي، سنة ١١٠م، ثم أستخدمها اللاهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني (١٥٠- ٢١٥م)، لكن الاستخدام الرسمي لها حدث قبل القرن الثالث الميلادي، وكانت الكنيسة الوحيدة آنذاك وبعتقد الكاثوليك بالثالوث، فيقولون بإله واحد، فيه ثلاثة أشخاص: الأب والابن (المسيح). وروح القدس، وهو ما يعرف بالاقانيم الثلاثة، ويعتقدون أن كل واحد من الثلاثة متميز، وأنه إله حقيقي انظر: سعد رستم: **الفرق المذهبية المسيحية** . منذ ظهور الإسلام حتى اليوم . ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٦٨- ٧٢.

(٦) إبراهيم علي طرخان: **دولة القوط الغربيين**، ص١٦٢.

(٧) المرجع نفسه، ص١٦٤.

(٨) **القديس يعقوب**: تذكر الأسطورة أن هيرود الثاني ملك بيت المقدس، لما قتل القديس يعقوب (يعقوب الحواري) حمل تلامذته جثته في مركب، حتى وصلوا أرض جليقية، ودفنوه، حتى جاءت سنة ٨٣٥م ليزعم القس إبريا ثيودومير، أنه اكتشف القبر بهداية ضوء نجم، فذاعت الأسطورة، وبنيت كنيسة من أعظم الكنائس فخامة، وهي رمز الحماية ضد المسلمين. انظر: عادل سعيد بشتاوي: **الأندلسيون المواركة**، مطبعة انترناسيونال، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٦؛ عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ع١، ق١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٢٠.

(٩) عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ص٤٥، ٤٦.

(١٠) أمريكو كاسترو: **إسبانيا في تاريخها** . المسيحيون والمسلمون واليهود . ترجمة، علي إبراهيم منوفي، وحامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٩.

(١١) عبد المحسن طه رمضان: **الحروب الصليبية في الأندلس**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،٢٠١١، ص٤١٩.

(١٢) المرجع نفسه.

(١٣) أمريكو كاسترو: **إسبانيا في تاريخها**، ص١٣٤.

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) المرجع نفسه.

(١٦) هـ .و. ديفز،(H.W.C.Davis): **أوربا في العصور الوسطى**، عبد المجيد حمدي محمود، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٥٨م، ص١٨٣.

(١٧) **البرطقة**: التعريف الكاثوليكي للبرطقة هو: رأي ديني مدان كنسيًا على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي، أو أيضًا: خطأ إرادي ومتشبث به، وبالتالي يعتبر الأرثوذكس هراطقة في نظرهم. انظر ج.ويلتر:المرجع السابق، ص١٧.

(١٨) **التاريخ الوسيط** . قصة حضارة: البداية والنهاية. ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط٥، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ق١، ص٢٠٨.

(١٩) نورمان كانتور: المرجع السابق، ق١، ص٢٠٨.

(٢٠) **فتنة المستعربين**: تعود هذه الفتنة إلى قسيس إحدى الكنائس بقرطبة، اسمه برفكتو(Perfecto) الذي دخل في نقاش مع مجموعة من المسلمين، حول فضائل كل من محمد وعيسى [عليهما السلام] فأجابهم: "أما المسيح فهو ربي، وأما نبيكم فلا أجرؤ أن أسمعكم ما نقوله نحن المسيحيين عنه. لمزيد من المعلومات. انظر: أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص١١١.١١٢؛ رينهرت دوزي: **المسلمون في الأندلس** . المسيحيون والمولدون . ترجمة، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.ج١، ص٩٥ فما بعدها.

(٢١) أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، (الحاشية، ص١١٣).

(٢٢) **دير كلوني**:(Cluny) نسبة إلى مدينة في شرق فرنسا، وقد تأسس فيها هذا الدير سنة (٢٩٧هـ/٩١٠م)، في ركن مجهول من برغنديا، على يد وليام التقي دوق اكيتانيا، وصار مع الزمن الدير الذي يقود كل الأديرة، لأنه كان محصنًا ضد التدخل الكنسي والعلماني، ولأنه كان تحت إشراف البابا، وملتزم بالقاعدة البندكتية. انظر: نورمان.ف.كانتور: المرجع السابق، ق١، ص٣٠٨ فما بعدها.

(٢٣) **الطقوس**: سعت البابوية بكل جهد إلى إلغاء الطقوس المنسوبة للقديس ايزيدور الاشبيلي Isidore de Séville (١٤هـ/ت.٦٣٦م)، واستبدالها بالطقوس الرومانية، وبذل دير ساهخون البندكتي، ورئيسه الراهب برنار الفرنسي، أعظم جهد لتحقيق أغراض البابوية، وقد دعمته زوجة الفونسو الأول، وهي فرنسية، وبذلك حصل برنار،على مرسوم بابوي بتعينه في دير ساهخون، وبذلك استطاعت البابوية، أن تفرض رياستها على الممالك المسيحية. انظر: عبد الله عنان: **عصر الطوائف**،ع٢، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٤٠٢.

(٢٤) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص١٦٧؛ عبد الله عنان: **عصر الطوائف**،ع٢، ص٤٠٢.

(٢٥) قاسم عبد قاسم: **ماهية الحروب الصليبية** (الإيديولوجية الدوافع . النتائج)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ١٩٩٣، ص٤٤.

(٢٦) إدوارد بروي وآخرون: **تاريخ الحضارات العام** . القرون الوسطى . ط٢، تعريب، يوسف أسعد داغر، وفريد م.داغر منشورات عويدات، بيروت . باريس، ١٩٨٦م، مج٢، ص٣١٢؛ قاسم عبد قاسم: المرجع السابق، ص٤٤.

(٢٧) هـ.و.ديفز: المرجع السابق، ص١٨٨.

(٢٨) رأفت عبد الحميد: **الفكر السياسي في العصور الوسطى**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٧٤.٧٥

(٢٩) **أوربا في العصور الوسطى**، ص١٨٨.

(٣٠) قاسم عبد قاسم: المرجع السابق، ص٤٤.

(٣١) المرجع نفسه.

(٣٢) نورمان ف. كانتور: المرجع السابق، ج٢، ص٤٠٥.

(٣٣) المرجع نفسه.

(٣٤) المرجع نفسه.

(٣٥) عبد الله عنان: **عصر الطوائف**، ع٢، ص٤٠٢.

(٣٦) المرجع نفسه.

(٣٧) اشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة، محمد عبد الله عنان،ج٢، ص٣.

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) علي حسين الشطشاط: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص٩١؛ عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ص٦٥.

(٤٠) **مرهجا**: رهج. الرَّهْجُ والرَّهَجُ: الغُبارُ، وقال في الحديث: ما خالط قلب امرئ رهج في سبيل الله إلا حرم عليه النار، وارهج إذا أكثر بخور بيته. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة مج٣، من ذ-س، ص١٧٥٠؛ ومن هنا نفهم أن كلمة، مرهجا، أي مرغوما، أي؛ تجرع السم أو الغبار جراء المشاركة في الحرب، بسبب لوم البابا، ونحن نعلم بأن نافار سكانها، بشكنس، ذوي أصول بربرية. إفريقية، حيث تختلف ثقافتهم عن ثقافة القوط، ومازالوا إلى اليوم متمسكتين بثقافتهم.

(٤١) انظر: ابن عِذاري المراكشي: **البيان المغرب** . قسم الموحدين . تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥، ص١٦٣.٢٦٤.

(٤٢) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عصر المرابطين والموحدين . ق٢، ص٣١٨ فما بعدها.

(٤٣) المرجع نفسه.

(٤٤) عادل بشتاوي: المرجع السابق، ص٦٨.

(٤٥) **الكاثوليكي الطاهر** (Catolicos)، حسب دستور الإيمان عند المسيحيين، الذي وضعه الأساقفة في نيقية . مدينة بتركيا . سنة٣٢٥ وهو كالاتي: "نؤمن بإله واحد.آب ضابط الكل.خالق السماء والأرض. كلّ ما يرى ومالا يرى. وبربٍّ واحد يسوع المسيح. ابن الله الوحيد. المولود من ألآب قبل الدهور.(إله من إله) نورٌ من نور. إله حق من إله حق. مولود خير مخلوق. مساو للأب في الجوهر... ومن أجل خلاصنا. نزل من السماء، وتجسّد من الروح القُدس، ومن مريم العذراء، وتأنس، وصلب عنا، على عهد بيلاطس النبطي. وتألم وقبر السماء، وجلس يمين الآب". ثم أضافت الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد كلمة (الابن) إلى دستور الإيمان، فعارضت الكنائس الشرقية الأرثوذكسية (القويم) هذه الإضافة. انظر: نعيم فرح:المرجع السابق، ص ١٧٨.١٧٩.

(٤٦) عادل بشتاوي: المرجع السابق، ص٦٨. ٦٩.

(٤٧) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٥١٨.

(٤٨) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج٢، ص٢.

(٤٩) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص٢٢٥؛ يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص٢.

(٥٠) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص٢٢٥، نقلاً عن: أسين بلاسيوس.

(٥١) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص٢٢٥

(٥٢) **الإستبارية**: يعود تأسيسها إلى سنة (٤٦٢هـ/١٠٧٠م)،عندما أسس تُجار مدينة أمالفي جمعية خيرية قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس، وذلك

بغرض العناية بالحجاج الفقراء، وكان هدفها علاج المرضى وإيواء الحجاج، ولم يلبثوا أن دخلوا تحت النظام الديري البندكتي. وفي (٢٦ شعبان ٥٠٦هـ/ ١٥ فيفري١١١٣م) أصدر البابا بسكال الثاني مرسومًا اعترف فيه بالهيئة، كما وضعها تحت الرعاية المباشرة للبابوية في روما، كما أقر المرسوم البابوي، منحها أملاكًا وامتيازات، وفد تحولت تدريجيًا من النشاط الخيري، إلى هيئة عسكرية. انظر: نبيلة إبراهيم مقامي: **فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام** . في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٣ فما بعدها؛ محمود سعيد عمران: **حضارة أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٨، ص١١٢.١١٣.

(٥٣) **المعبد**: أو الداوية، ظهرت بعد عشرين عامًا من نشأة هيئة الإستبارية، في بيت المقدس، كما عرفوا بجنود المسيح، وقد نشأت سنة (٥٠٦هـ/١١١٨م) على أساس حربي، وفي سنة (٥٢٢هـ/١١٢٨م) وضعت أنظمتها وقواعدها في مؤتمر تروي (Troyes)، وفي بداية القرن الثالث عشر، تراكمت لدى الهيئة الهبات والعطايا والامتيازات، حتى أصبحت لها في الغرب الأوربي، عدة مراكز في بروفانس، وفرنسا، وأراغون، وقشتالة والبرتغال، والعديد من المدن الأوربية. انظر. محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص١١٣.١١٤؛ نبيلة إبراهيم مقامي: المرجع السابق، ص١٦ فمابعدها.

(٥٤) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٥١٨.

(٥٥) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج١، ص١٨٤؛ عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين . ق١، ص٥٠١، ٥٠٢، ٥١٨؛ أمريكو كاسترو:المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٥٦) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٠٢.

(٥٧) **لاردة**: تقع لاردة غربي برشلونة، وكانت أيام العصر الإسلامي من ولاية الثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة، ونظرًا لبعدها عن قرطبة، فقد كانت دائمًا في حالة حروب مع المسيحيين، ولما انهارت الخلافة الأندلسية، وقامت دول الطوائف، قامت مملكة بني هود في سرقسطة وما حولها من القواعد، مثل وشقة، ولاردة وتطيلة، وإفراغة، وطرطوشة، وطركونة ولكن هذه المملكة الصغيرة، لم تثبت طويلاً، وسقطت لاردة في يد كونت برشلونة، رامون برنغار الرابع، في سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م). انظر: عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، (١٤٠٨هـ/١٩٩٨م)، ص١٦٨؛ عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية**-دراسة تاريخية وأثرية-ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص١١٤ فمابعدها.

(٥٨) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥٠٢.

(٥٩) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج١، ص١٣.

(٦٠) قلعة رباح: هي من مدن جيان، وموقعها بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة، ولها حصون حصينة. انظر: عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**، ص١٦٣.

(٦١) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٦٢) المرجع نفسه.

(٦٣) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص١٤.

(٦٤) المرجع نفسه.

(٦٥) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٥١٩.

(٦٦) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص١٦؛ عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٥١٩.

(٦٧) هشام أبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان، عمان الأردن ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٢٣٨.

(٦٨) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق١، ص٥١٩.

(٦٩) **السيسترسيان** (Cistercien): نشأت حركة السيسترسيان، علي يد روبير موليسم (١٠٢٩-١٠٧٥م)، وارتبط نموها بالقديس برنار دي كليرفوا (١٠٩١-١١٥٣م)، حيث يعتبر الروح التي تحرك الباباوت، ومن أقواله "كنيسة مخطئة خير من لا كنيسة على الإطلاق". وبفضل القديس برنار، أدى الرهبان السسترسيان خدمة كبيرة للحياة الاقتصادية في أوربا، وذلك باستصلاح الأراضي البور، وفلاحتها، فضلاً عن العناية بتربية الخيول والمواشي، وقد اشتهروا بتجارة الصوف، وامتلاكهم لأعظم مزارع الكروم في فرنسا، ثم بدأ الفساد يدب في المنظمة مثلما دب في أوصال هيئة كلوني قبلها.انظر: ادوار جونو: **الفلسفة الوسيطية**، ترجمة، علي زيعور، ط٣، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢، ص١٠١ فما بعدها؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوربا العصور الوسطى**، ج٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٣٤ فما بعدها.

(٧٠) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص١٦؛ شكيب أرسلان: **خلاصة تاريخ الأندلس**، مطبعة لمياء، القاهرة، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، ص٢٣٤.

(٧١) **إسبانيا في تاريخها**، ص٢٣٠.

(٧٢) عبد الله عنان: **عصر المرابطين في المغرب والأندلس** . ق١، ص٥٢٨؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج٢، ص١٧ ١٨.

(٧٣) **القديس يعقوب**: يعود إنشاء مدينة شنت ياقب إلى سنة ٨٣٥م حين زعم القس تيودمير أسقف إيريا أنه اكتشف قبر القديس يعقوب، أو يعقوب الحواري. انظر.عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية**، ص ٣٤٢ فما بعدها.

(٧٤) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص١٦.

(٧٥) ولد أورليوس أوغسطين (Aurelius Augustinus) (٣٤٥-٤٣٠م) في مدينة . سوق أهراس حاليًا في الجزائر . وبعد أن أتم تعليمه عمل بالتدريس، ثم رحل إلى روما، وشجعه نجاحه على التحرر من قيود الاعتقاد، فتخلى عن المسيحية سنة ٣٨٦م متجهًا صوب البحث عن الحكمة، تحت تأثير كتابات شيشرون، فاعتنق المذهب المانوي، ولكن سرعان ما أفاق وتخلص منه، فرجع إلى الكنيسة مرة أخرى قديسًا وراهبًا. وحينما عاد إلى شمال إفريقيا . الجزائر. أسس جمعية رهبانية في مدينة ايبونا . عنابة حاليًا. حتى وصل إلى رتبة الكهانة، وإنتاج أغسطين أكثر من مائتي كتاب، وأكثر من خمسمائة موعظة، ومن بين كتاباته التي قرأها العصر الوسيط يمكن ذكر "الاعترافات" وفي الثالوث، ومدينة الله. لمزيد من المعلومات، انظر: إدوار جونو: المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

(٧٦) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج٢، ص١٦.

(٧٧) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص٢٢٣.

(٧٨) ابن عذاري: المصدر السابق، ص٤٤٤.

(٧٩) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق٢، ص٤٦٩.

(٨٠) يوسف أشباخ: المرجع السابق، ج٢، ص١٩٨.

(٨١) المرجع نفسه..

(٨٢) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢١٠.

(٨٣) المرجع نفسه.

(٨٤) أنطونيو أغابيدا: **أخبار سقوط غرناطة**، تحرير، واشنطن ايرفينغ، ترجمة، هاني يحي نصري، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢٠٥.

(٨٥) **أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة، محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٧٢.

(٨٦) خايمي كاثيريس إنريكيت: **الحضارة الأندلسية في البيرو**، جمعها، خوسي بيراوون أرانيبار، ترجمة، مصطفى فرحات، دار القصبة للنشر الجزائر،٢٠٠١، ص٥٤.

(٨٧) المرجع نفسه، ص٥٤.٥٥.